

# ام المصريين.. لقب له تاريخ

إن تاريخ مصر زاخر برموز خالدة من شخصيات عظام ظهرت في لحظات حرجة من تاريخها ليغيروا من مستقبلها ويستقروا في ضمير الأمة وذاكرتها وليبقوا منارة للأجيال على مر العصور، ومن هذه الشخصيات صفية زغلول قرينة الزعيم الخالد سعد باشا زغلول ورفيقة كفاحه، وابنة مصطفى باشا فهمى رئيس وزراء مصر آنذاك.

وتعود تسميتها بام المصريين لواقعة عودة سعد زغلول ورفاقه من منفاهم بجزيرة مالطة تنفيذاً للقرار العسكرى للمندوب السامى البريطانى بنفيه خارج البلاد.

وقد تصادف يوم عودته في ٤ أبريل سنة ١٩٢٣ إغلاق بوغاز الإسكندرية بسبب هياج البحر فباتت سفينة الزعيم خارج البوغاز. وهب الشعب المصرى عن بكرة أبيه ليستقبله بميناء الإسكندرية، وامتلاً الميناء الشرقى بالآلاف الفلاّك تحمل أبناء الإسكندرية الذين أبوا إلا أن يبيتوا في فلاّكهم ليصاحبوا دخول سفينة الزعيم إلى الميناء في الصباح، مما دعا الحاكم العسكرى الى ان يصدر أمراً بحظر الهتاف باسم سعد زغلول أو الخروج عن حدود المظاهرات السلمية. ورغم هياج البحر

بقلم :

د.م.  
نادر  
رياض



www.naderriad.com

وصعوبة ذلك على الفلاّك الصغيرة إلا أن بعضها خرج من البوغاز ليقرب من سفينة الزعيم رغم الخطورة البادية من ذلك.

مع صباح يوم ٥ أبريل ١٩٢٣ تحركت سفينة الزعيم داخلية من البوغاز وسط مظاهرة بشرية بحرية تحدث لأول مرة في التاريخ، ووقف الزعيم مشحوناً بعواطف جياشة يصعب وصفها يلوح بالرد لتحية أبناء مصر ثم التفت فجأة إلى قرينته وقال لها: يا صفية ارفعى اليشمك، وعلى الفور رفعت صفية زغلول اليشمك كاشفة عن وجهها لأبناء شعبها باعتبارهم

جميعاً من أهلها وخاصتها. وفهمت الجموع على الفور دون لغة تخاطب المعنى والمضمون من ذلك التصرف المقصود فارتفعت الحناجر تشق عنان السماء هتافاً لسعد زغلول، وبذا سميت صفية زغلول منذ تلك الواقعة بام المصريين.

أما على الشاطئ فكان فنان الشعب سيد درويش قد أعد موالاً مطلعاً زغلول يا بلح ليبرد عليه الشعب بعبارة "يا بلح زغلول" وذلك كناية وتورية للهتاف باسم الزعيم رغم منع ذلك صراحة بموجب الأمر العسكرى.

واعتلى سيد درويش عربة حنطور وانطلق صوته يعلو في شوارع الإسكندرية مرافقاً لموكب الزعيم بصوته الجمهورى الذى ما كان ليحتاج ليكروفونات خلا منها ذلك العصر.

ورأى الملك فؤاد أن يستقبل الزعيم سعد زغلول ويخرج معه في سيارة مكشوفة ليرد تحية الجماهير في تهنئة واضحة للشعب بعودته، وارتفعت الهتافات لأول مرة بعبارة يحيا الملك

مع سعد وهو امر يخالف جميع الأعراف الملكية ولكن تم تقبله بترحاب بدءاً من الملك والقصر والصحافة وأخيراً من الحاكم العسكرى رغماً عنه.

وقد كلف الملك فؤاد الزعيم سعد زغلول بتشكيل الوزارة وهو أمر شكل تحدياً للحاكم العسكرى. ومن الملابس الشهيرة أن وزارة سعد ضمت في اقتراحها على الملك اثنين من الوزراء الأقباط، وكان المتبع قبول وزير قبطى واحد في كل وزارة.

وعقب الملك قائلاً «إن في ذلك تجاوزاً للنسبة» «فأجاب سعد» «إن الإنجليز في إطلاقهم الرصاص على المتظاهرين كانوا لا يفرقون بين المسلم والقبطى، كما انهم لم يراعوا النسبة في نفيهم لرفاق سعد وكان أغلبهم من الأقباط، فوافق الملك على الأسماء المقترحة دون تحفظ.

بقى أن نتوجه بالتحية والاعزاز إلى المرأة المصرية في عيدها القومى لدورها الوطنى المحورى كصانعة حضارة وفكر والراعية لمستقبل الأجيال والأمانة على مصر التراث ومصر القيم على مر الزمان.

دامت مصر عزيزة بأبنائها مسلمين وأقباطاً وطنياً يعيش فيهم قبل أن نكون وطنياً يعيشون فيه.